ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها

٥ الحميد

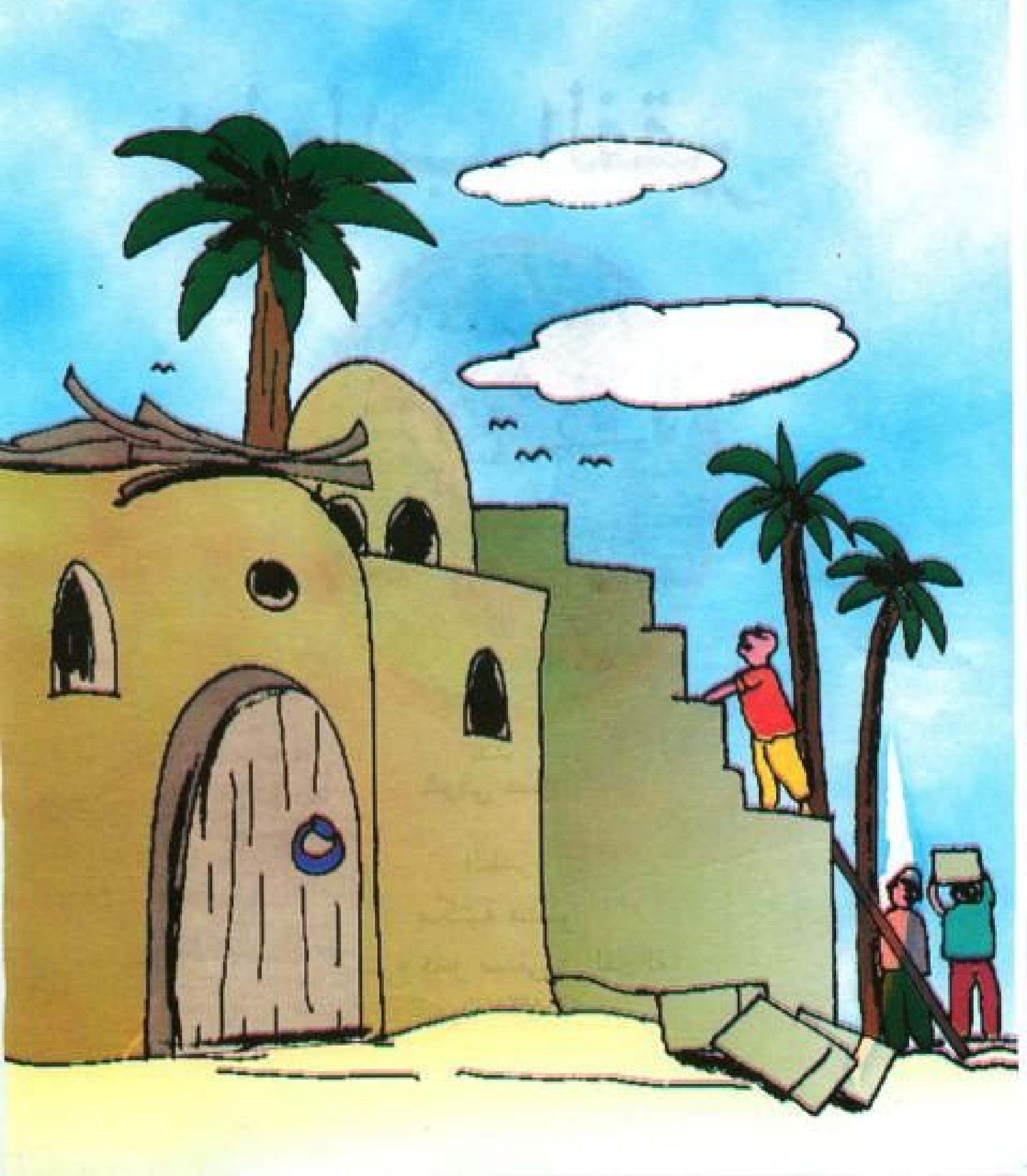
الحطاب الفقير



بقلم ورسوم : شوقي حسن

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفجالة

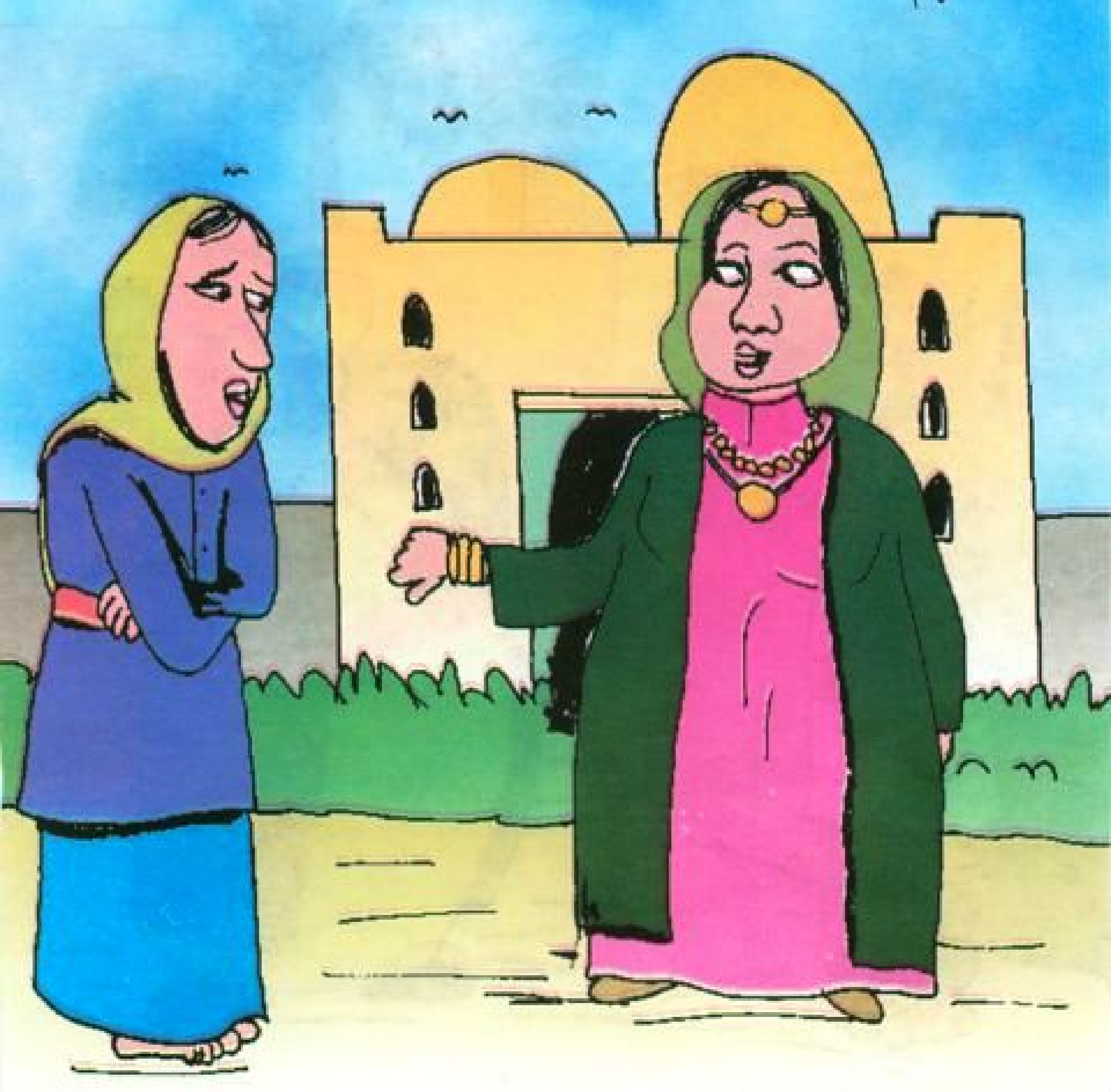
١ ـ حَمدانُ رجلٌ فقيرٌ يَعمَلُ حَطَّابا ، ويَعيشُ مع زَوجَتِـهِ وأولادِهِ عيشةً راضِيَةً فى بَيتٍ صَغيرٍ .



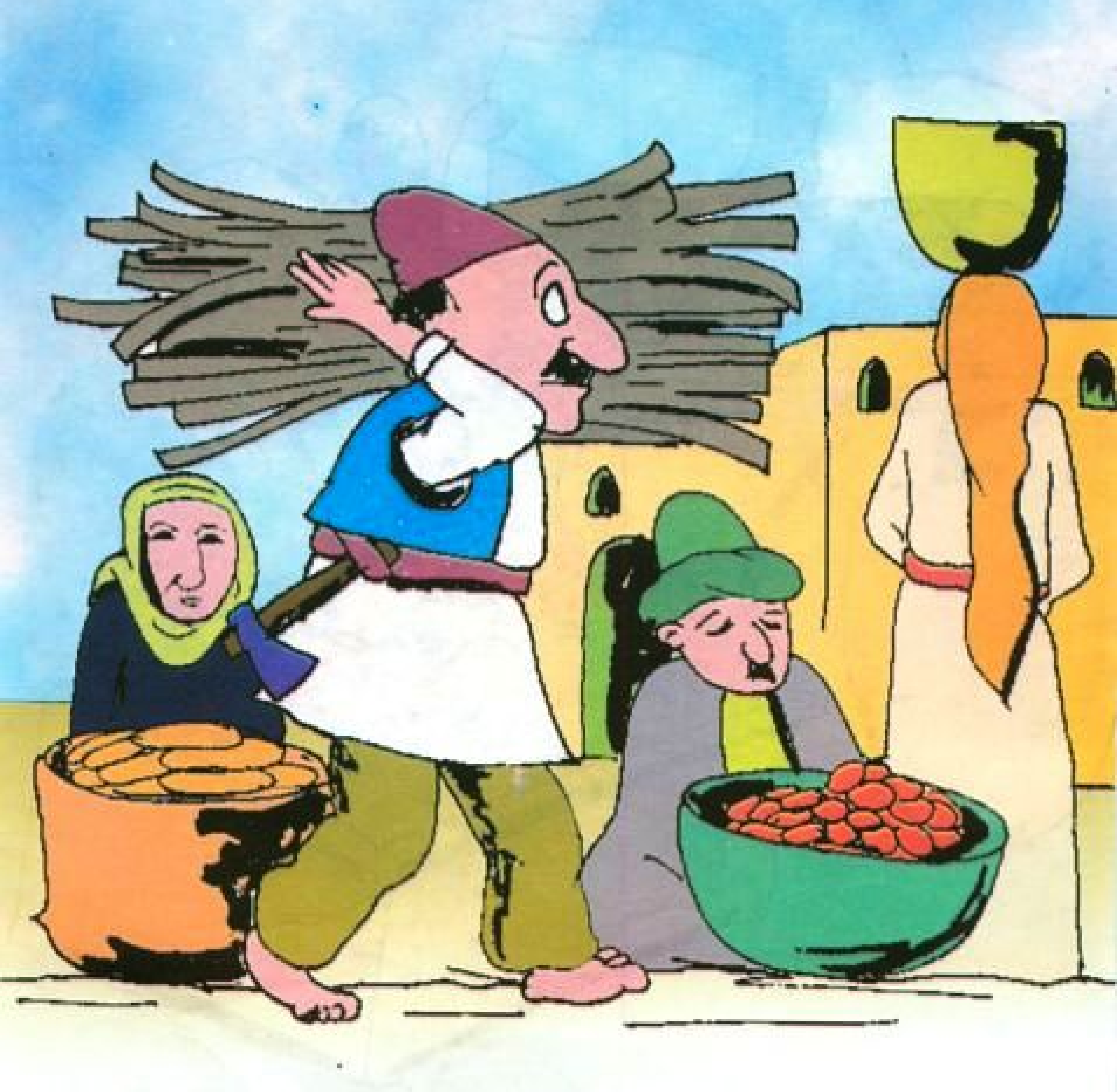
٢ ـ صَفوانُ لا يَرضَى عن حَمدانَ لِمظهرِهِ الفقيرِ ، فيُكلِّمُهُ بِكِبْرياء ، ويَزْهو عَليه بِمَلابِسِه الجَديدَةِ المُزَركَشَة ، بَينَما يَردُّ عليهِ حَمدانُ بُودٍّ وبِروحٍ طيِّبَة .



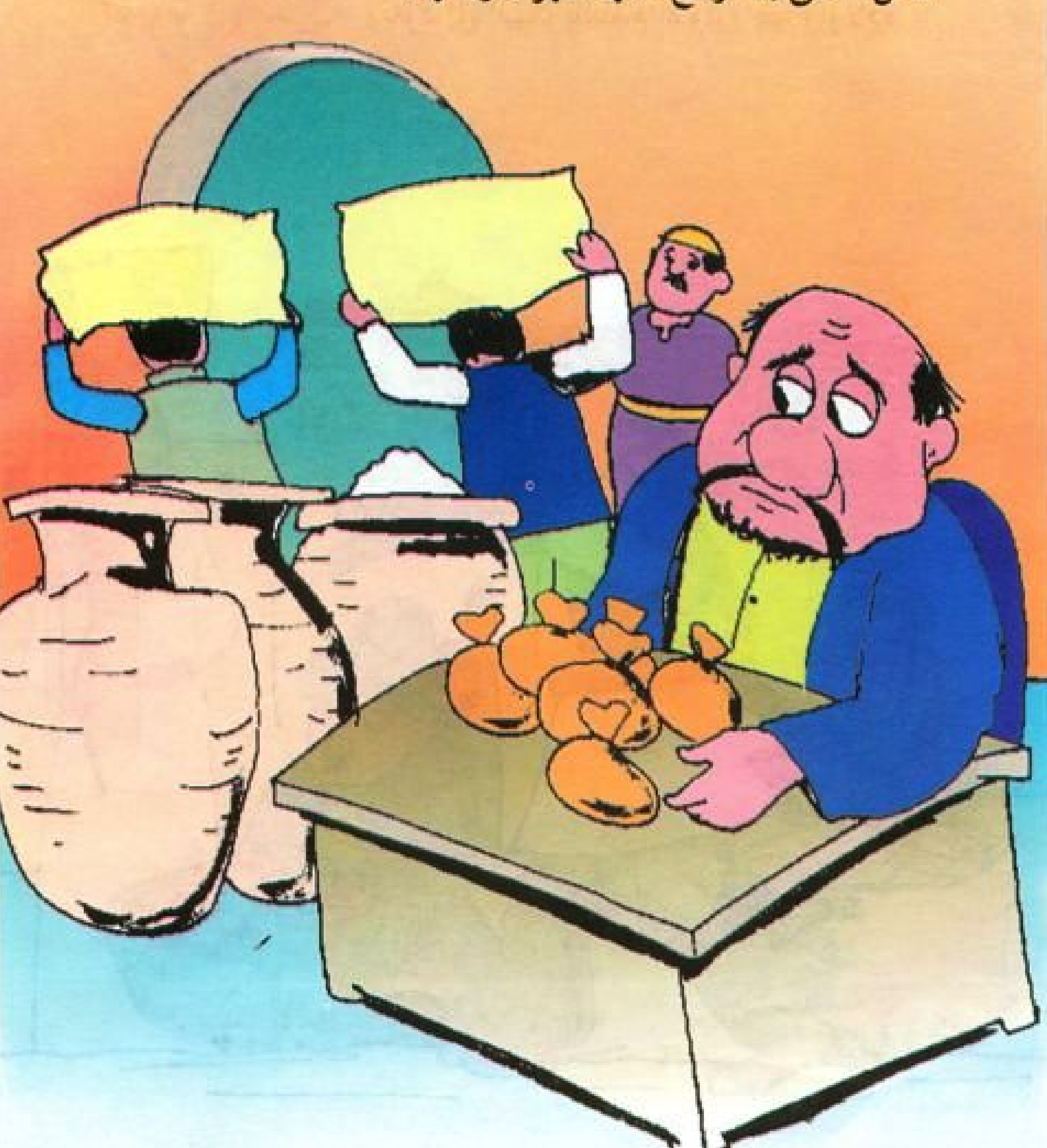
٣ ـ لا تَختَلِفُ زَوجةُ صَفوانَ عن زَوجِها ، فتَتعمَّدُ أن تَتحدَّثَ إلى زَوجَةِ حَمدان ، وتَكشِفَ عن ذِراعَيْها ، لتَكشِفَ عن الأساوِرِ الذَّهبِيَّةِ والمُجَوهَرات ، وتَطلُبُ مِنها أن تَعمَلَ خادِمًا عِندَها ، حتَّى تَتحسَّنَ حالُهُم .



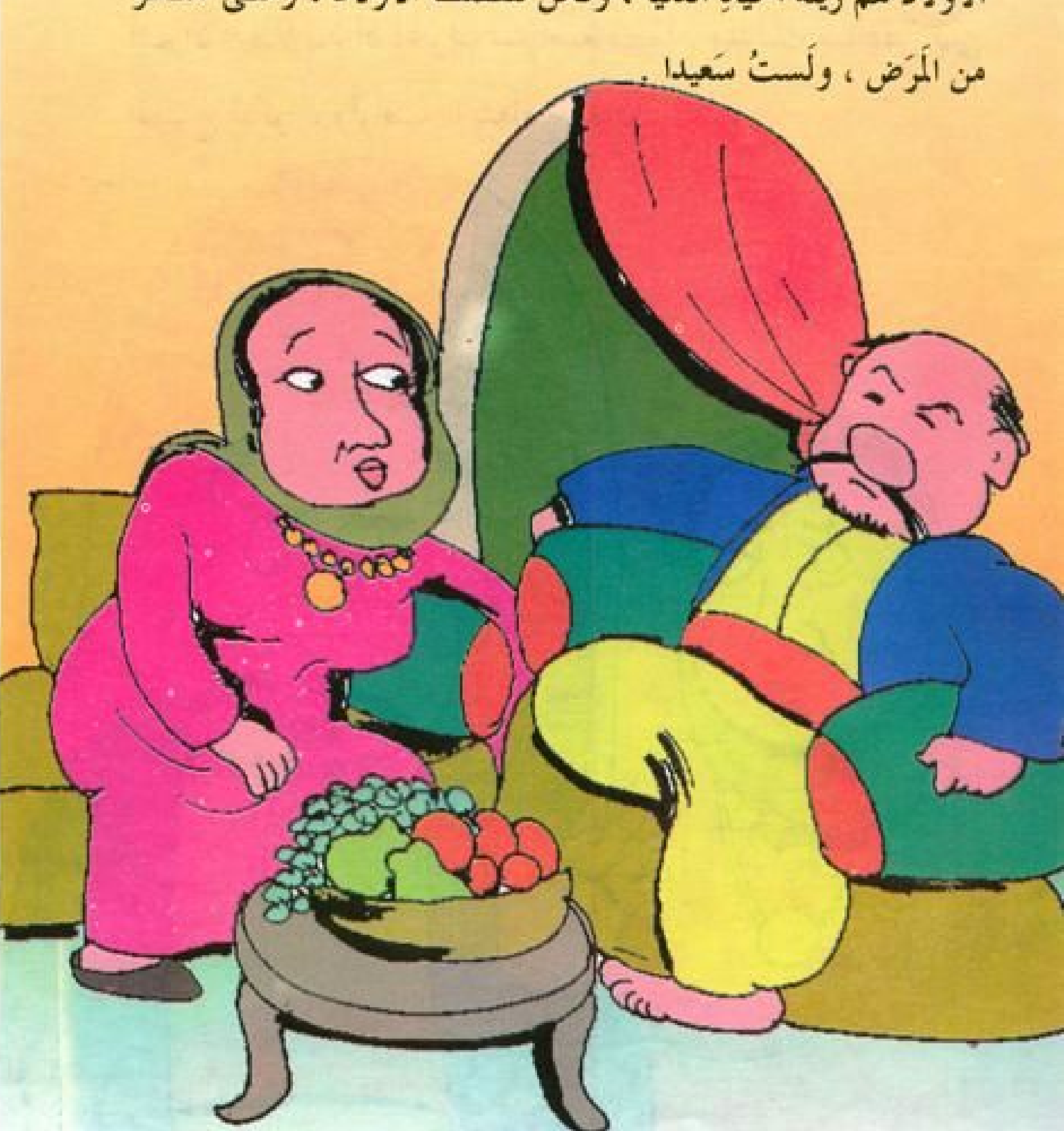
٤ - بينَما حَمدانُ وزَوجَتُه راضِيانِ بِما قَسَمهُ اللّهُ لَهما ، حامِدانِ اللّهَ على نِعَمِه ، يَخرُجُ حَمدانُ كلَّ صَباحٍ ليَجمعَ الحَطبَ من الغابَة ، ثُمَّ يَبيعُهُ فى السّوق ، ويَعودُ إلى البَيتِ بالطّعامِ له ولزَوجَتِهِ وأَولادِه .



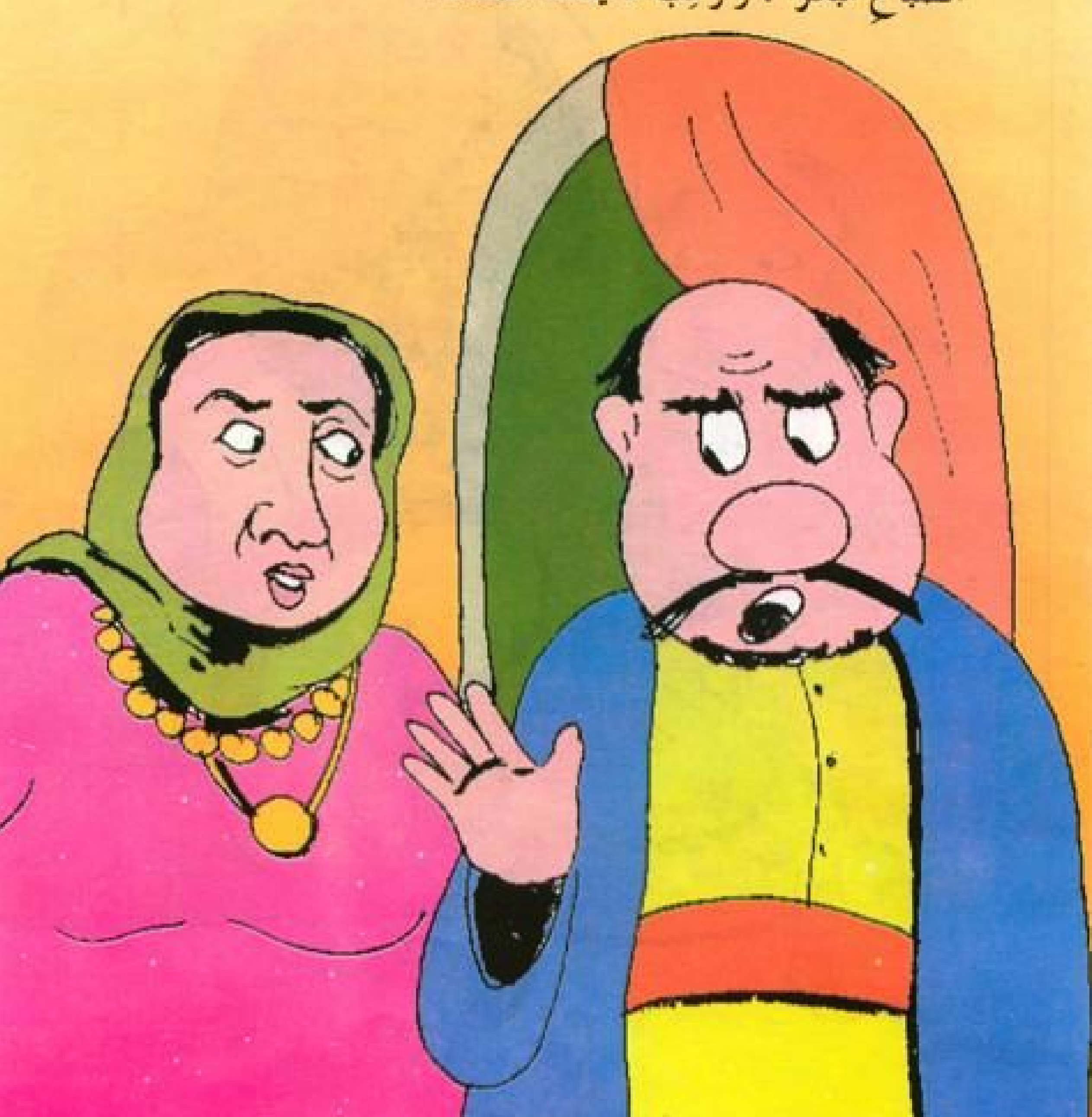
٥ ـ فى حينٍ يأتى صَفوانُ بالعُمَّالِ يَعملونَ فى تِجارَتِه . ورَغمَ ثَروَتِهِ العَظيمَة ، يَطلُبُ المَزيدَ منَ المال ، بأنْ يُخفى البَضائعَ عن النَّاس ، حتَّى إذا ارتَفعَ ثَمنُها أظْهَرَها وباعَها .



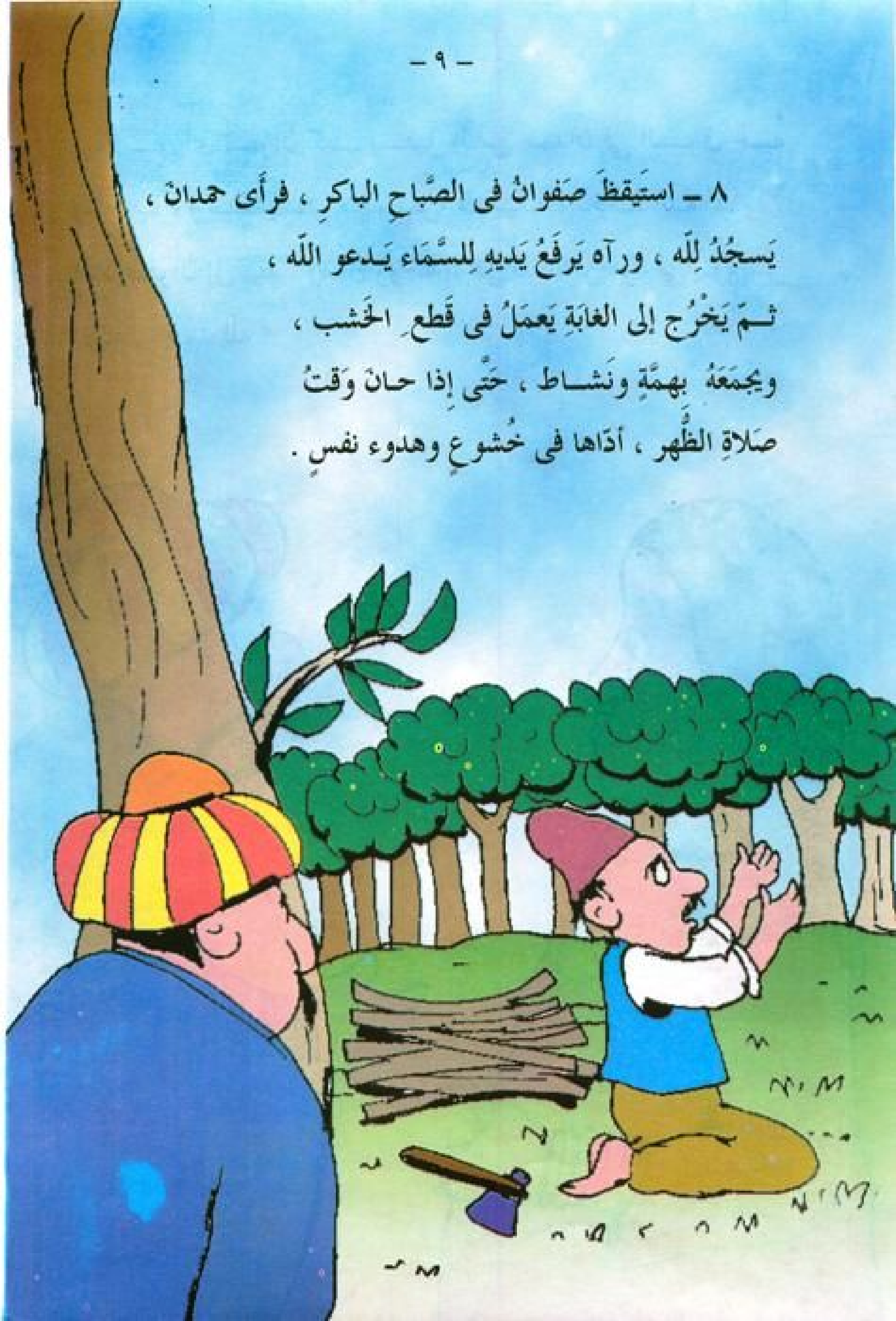
٦ ـ ذاتَ يَومٍ جَلسَ صَفوانُ مع زَوجَتِه ، وقد بـدا عليـه الحُـزْن ، فسألَتْهُ عن سَببِ حُزنِه ، فقالَ لهـا : كـأنَّكِ لا تَعلَمـينَ يـا زَوجَتـي أنَّ الأوْلادَ هُم زينَةُ الحَياةِ الدُّنْيا ، ونَحن تَنقُصُنـا الأولاد ، وأنَّنـي أشكـو من المَرَض ، ولَستُ سَعيدا .



٧ ـ قالتْ زَوجَتُه : كيفَ لا نكونُ سَعيدَيْن ، وعِندَنا كلُّ هذه الأمْوال ؟ قالَ لها : ألا تَرَيْنَ أنَّ حَمدانَ وزَوجَتَهُ أسْعدُ مِنّا ، وهُما فَقيران ؟ فلا بدَّ أن أعْرِفَ سرَّ سَعادَتِهما . ولذلك سأنْهضُ في الصَّباحِ مُبكّرا ، وأُراقِبُ ما يَفْعلُه حَمدان .

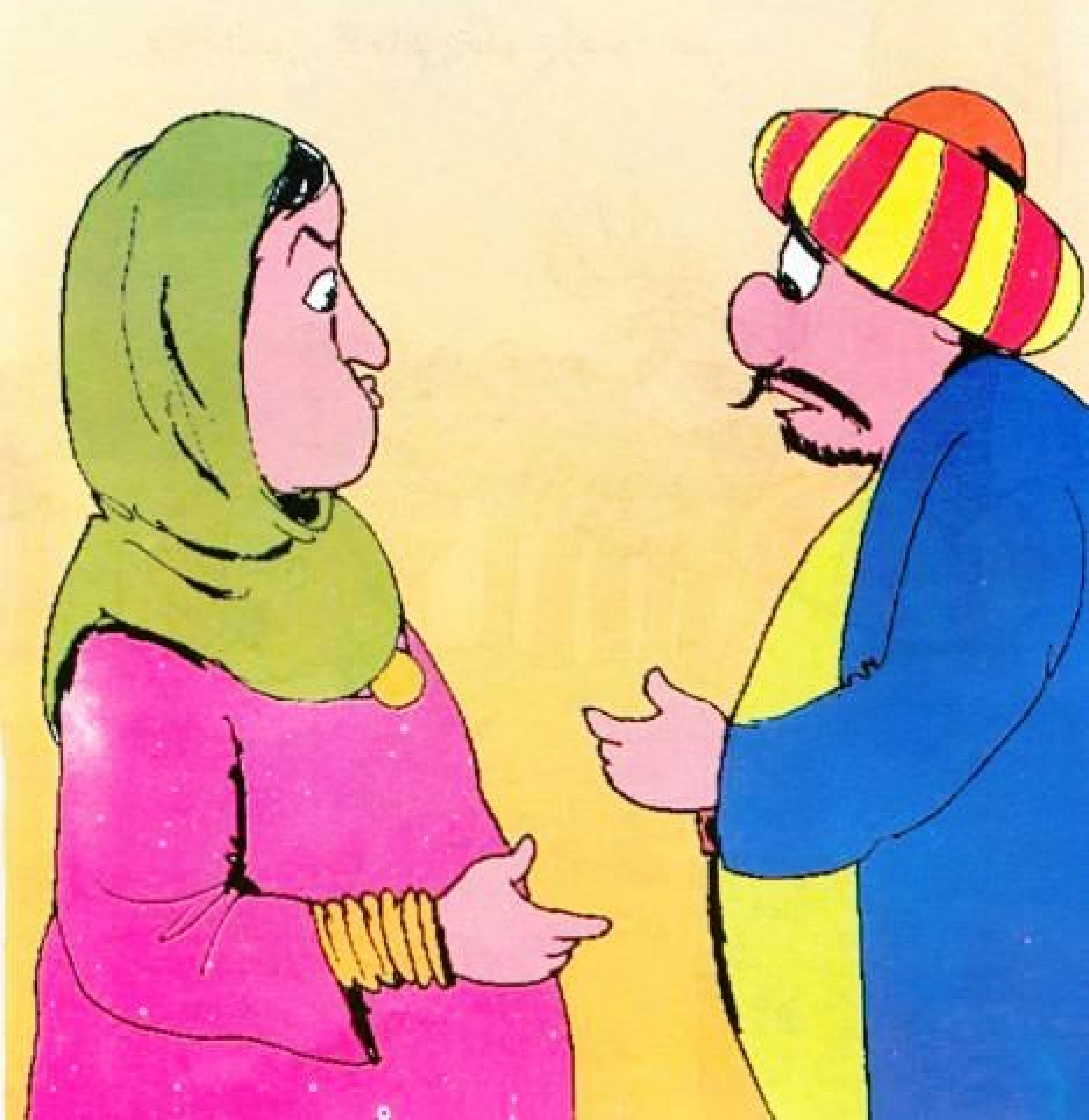


٨ ـ استيقظَ صَفوانُ فى الصَّباحِ الباكرِ ، فرأى حمدانَ ، يَسجُدُ لِلّه ، ورآه يَرفَعُ يَديهِ لِلسَّمَاء يَدعو اللّه ، ثـمَّ يَخْرُج إلى الغابَةِ يَعمَلُ فى قَطعِ الخَشب ، ويجمَعَهُ بهِمَّةٍ ونَشـاط ، حَتّى إذا حـانَ وَقتُ صَلاةِ الظُّهر ، أدّاها فى خُشوعٍ وهدوءِ نفسٍ .



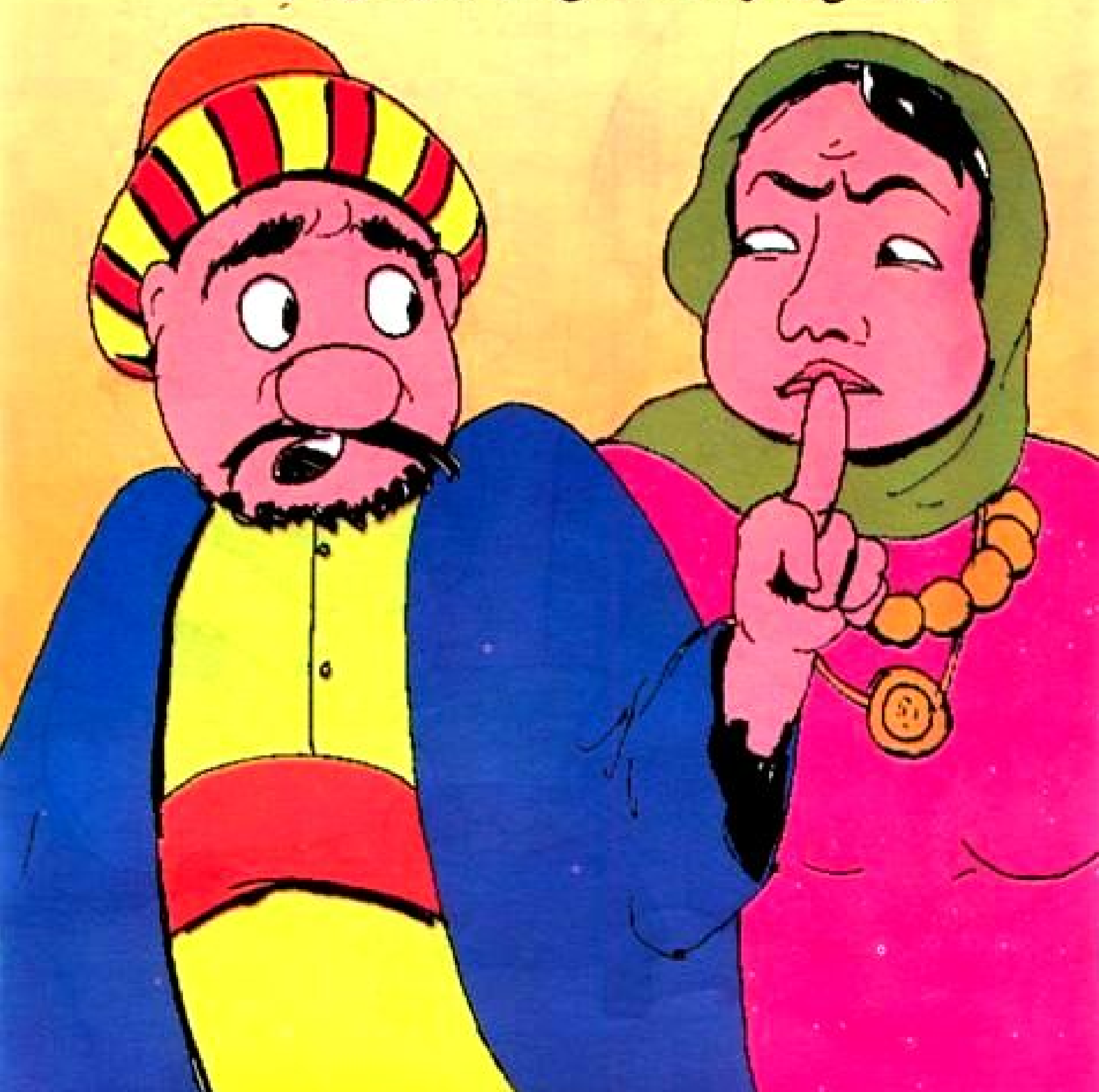
٩ ـ ورأى صَفوانُ كيفَ يَستَقبِلُ النّاسُ حَمدانَ فى السّـوقِ بِحُبٍّ وتَرحاب ، وعندَما يَقبِضُ مِنهم ثَمنَ ما يَبيعُه ، يَحمَدُ اللّـهَ كَثيرا .

فعادَ صَفوانُ إلى بَيتِه ، وسأَلَ زَوجَتَه : هل قُلنا نَحنُ مَرَّةً في يَـومٍ مِـنَ الأَيّام : الحَمدُ لِلّه ؟



١٠ ــ هزَّت زَوجَتُهُ رَأسَها ، وقالَتْ : لا . قالَ صَفوان : إنَّ حَمدانَ يُصلِّي ويَحمَدُ اللَّهَ كَثيرا ، فهو أفضَلُ مِنّا عِندَ اللّه ، فسأذْهبُ إليهِ وأجلِسُ مَعه . قالَت زَوجَتُه : ماذا دهاكَ يا زَوْجي ؟ إنَّه لَيسَ مِن مَقامِنا .

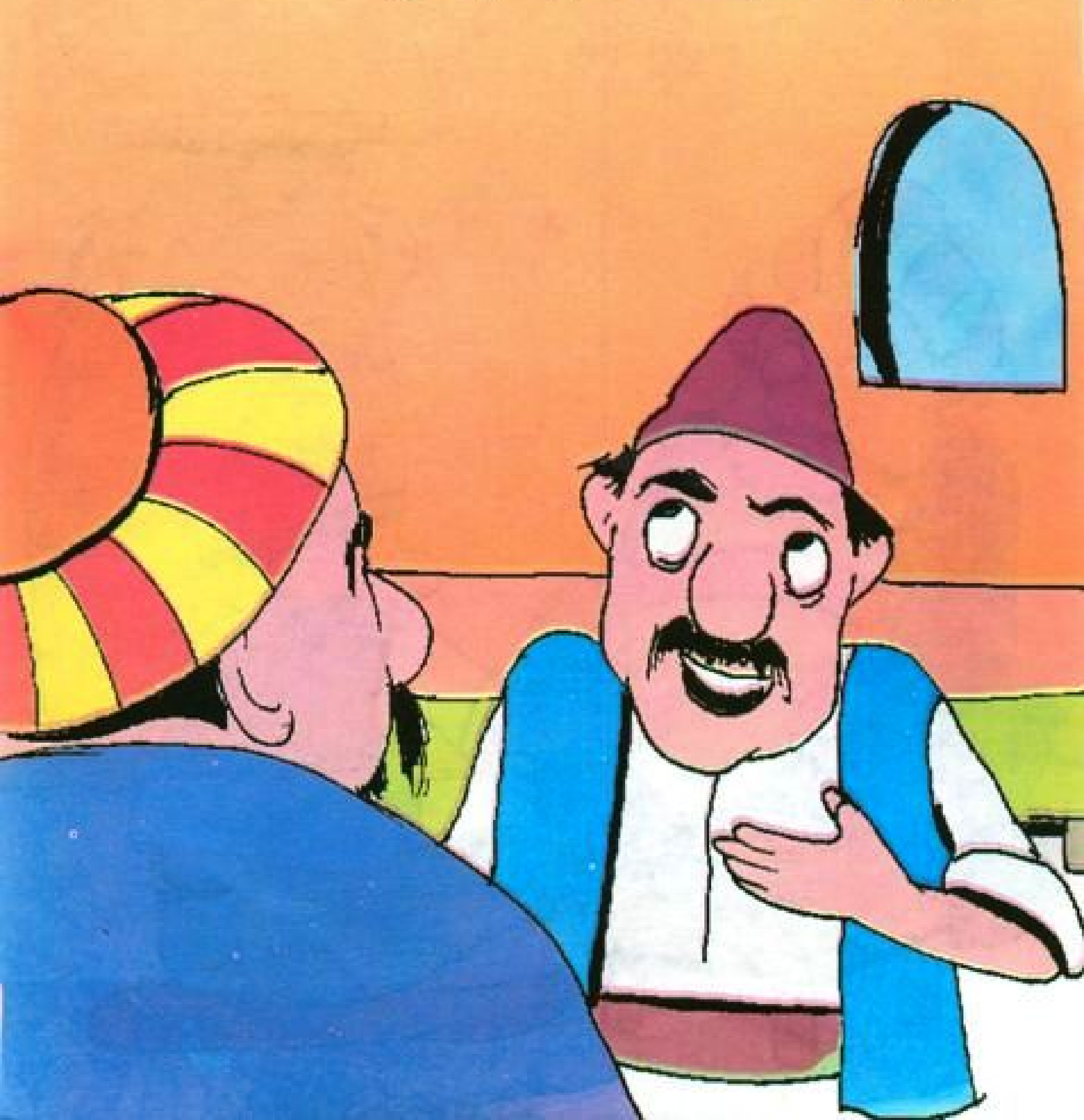
قال : كَفَي يا امْرَأة . لقد أعمَى المالُ أبْصارَنا عن ذِكرِ اللَّه .



١١ ـ رحَّبَ حَمدانُ بِجارِهِ صَفوان ، ودَعاهُ إلَى الجُلوس . قالَ صَفوان : اغْفِر لي يا حَمدان ، فقَد راقَبْتُ اليَومَ حَرَكاتِك ، فَرأيتُكَ تَحمَدُ اللّه ، وما فَعلتُ ذلك قَطّ ؟ قالَ حَمدان : أعطانا اللّهُ مِنَ النِّعمِ ما لا يُعدُّ ولا يُحصَى ، فالعُمر كلُّه لا يَكفي إذا قَضيْناهُ في حَمدِ اللّه ، فهناكَ حَمدُهُ على الحَياة ، وحَمدُهُ على النِّعَم ، وحَمدُهُ على النّجاة ، وحَمدُهُ على الرِّزق .



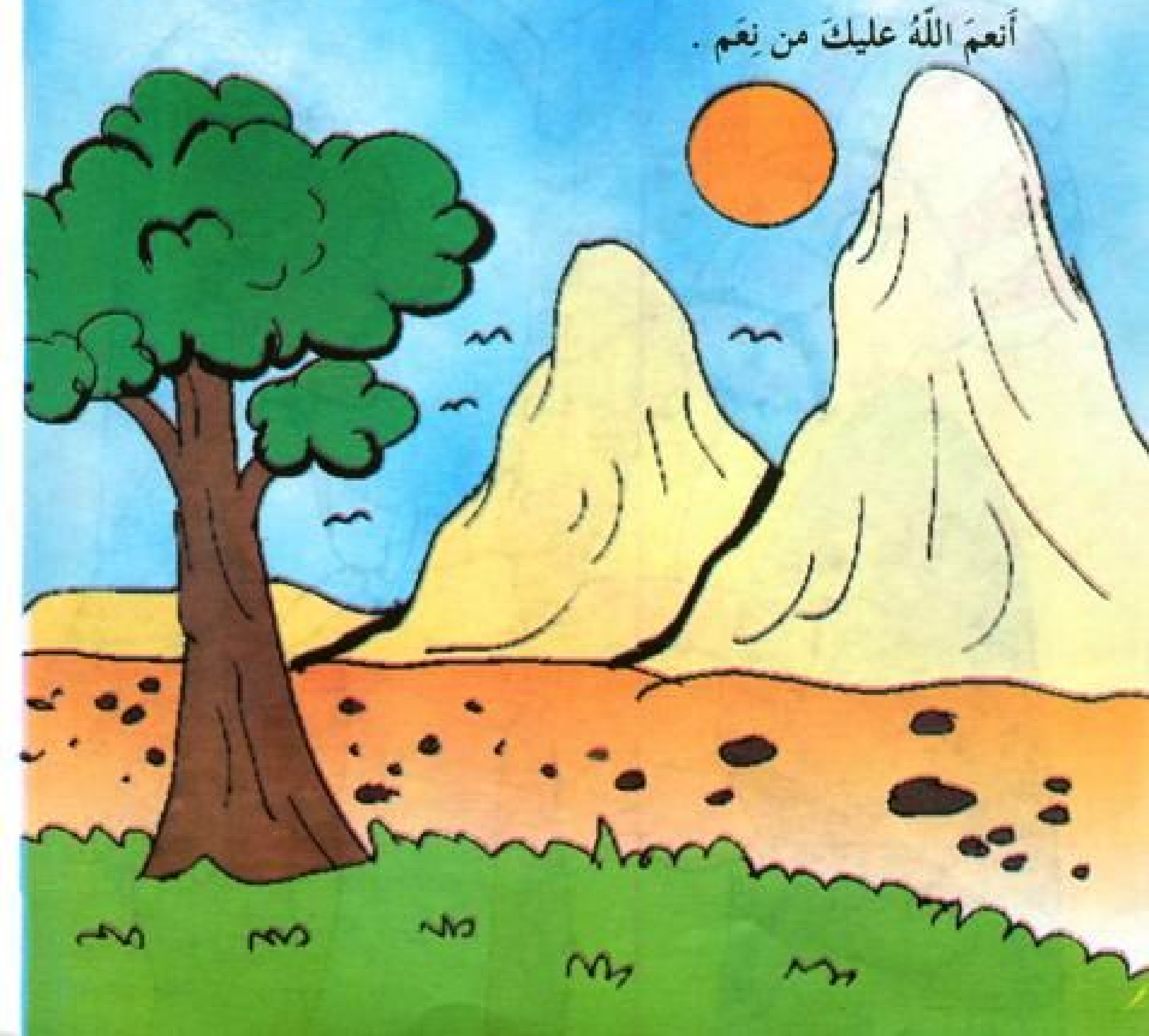
١٢ ـ قالَ صَفْوان : قل كلَّ ما عِنـدِكَ يـا حَمـدان ، حتَّى يَرتـاحَ قَلبي . قالَ حَمدان : إنَّ الحَميدَ اسْمٌ من أسْماءِ اللّـهِ الحُسنَى ، وهـو المُستَحقُّ لِلحَمدِ وَحدَه . فالشَّـجرةُ تُعطينَـا الثَّمَـرة ، والأَرضُ تُعطينـا الزَّرعَ والطَّعام ، والماءُ يُعطينا الحَياة ، والهَواءُ يَحفظُ عَلينا الحَياة . ولو نَظرْنا إلى هَذه النِّعم ما سَكَتَتْ قلوبُنا عن الحَمدِ لِلّه .



١٣ ـ إنَّ الخُطوةَ يُقدِّرُها اللهُ علينا تَستحِقُ الحَمد ، والنَّظرةَ يُرينا اللهُ ما حَولَنا تَستَحِقُ الحَمد ، واليومَ الَّذى نَجدُ فيه ما يسُرُّنا ويَكفينا يَستَحِقُ الحَمد ، واللهُ سُبحانَهُ وتَعالَى يُعافينا منَ الأمراضِ الَّتى يُصابُ بها غَيرُنا ، تَستَحقُ الحَمدَ يا سَيِّد صَفْوان .



١٤ ـ وما مِن شَيءٍ في الكَونِ مـن جَمادٍ أو نَباتٍ أو حَيوانٍ أو إنْسان ، إلاّ ويُسبِّحُ بحَمدِ اللّه . وقد سمِعَ رَسولُ اللّهِ صلّى اللّـهُ علَيـهِ وسَلَّم تَسبيحَ الحَصَى بينَ يدَيْه ، والجِبالُ يُسبِّحنَ مع داود ، والأسمـاكُ في البَحرِ يُسبِّحنَ مع يونُـس ، والأرضُ تُسبِّح ، والسَّماءُ تُسبِّح ، والنُّجومُ والشَّجرُ والـدَّواب . فكلُّ شَـيءٍ يُسـبِّحُ بحَمـدِ اللّـهِ إلاّ الإنْسان ، فمنَ النّاسِ من يُسبِّح ، ومنهم من لا يُسبِّح مِثلَك ، رغمَ ما أنعمَ اللّهُ عليكَ من نِعَم .



١٥ ـ قالَ صَفوانُ فى نَدَم : أنـا لم أُوَفِّ اللَّـهَ حقَّـهُ مـن الشُّـكْر ، ولن نَستَطيعَ أن نُوَفِّيَ اللّهَ حقَّه . وقد أمرَنا أن نَشكُرَهُ بكَلِمَتينِ فقط ، هُما الحَمدُ لِلّه ، وأن نَذكُرَه دائِمـا ، ونُـؤدِّيَ فرائضَـه . كـم ظَلَمـتُ نَفْسى يا حَمـدان ! قـالَ حَمـدان : اسْتَغفِرِ اللّـهَ لى ولَـكَ يـا جارِيَ العَزيز . قالَ صَفوان : أَشـكُرُ اللّـهَ سُبْحانَه ، أن كـانَ لى جـارٌ عَزيـزٌ مِثْلُك يا حَمدان .

